مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

التوظيف الأسطوري في شعر عبد الوهاب البياتي
أسطورتي (مأمون وسدوم) اختيارًا
Functions of Mythology in poetry Abdul Wahab Al-Bayatis Mythology's (Mammon, Sdwm) selection

بقلم م.م. صلاح راهي إبراهيم
وزارة التربية العراقية مديرية تربية بغداد الرصافة الثانية
Prepared by: M.A. Salah Rahi Ibrahim
Ministry of Education Baghdad Education Directoraten, Al Rusafa 2
gg66hh56@gmail.com

الملخص:
يتناول البحث الأسطورة ووظائفها في شعر البياتي، ويبين مفهومها لغة واصطلاحا، ويتعرض إلى دوافع الأسطورة عند الشاعر التي منها نوعان: الدوافع الذاتية التي لها صلة باهتمامات الشاعر، والدوافع الفنية ذات الصلة بطبيعة الشعر.
ويتناول البحثأيضا توظيف البياتي للأسطورة في قصيدتي (سوق المدينة) و(الأوغاد) بوصفها تساعد الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، وكذلك تربط الحاضر بالماضي، كما وتعمل على ربط التجربة الذاتية بالجماعية وتخرج القصيدة من طابعها الغنائي إلى الطابع الفكري التخييلي، فتعمل على تنمية روح الابتكار عند الشاعر ويُرفع بها الحدث الفردي والتجربة الشخصية الإنسانية ذات الطابع الأسطوري.
فقد وظف الشاعر الأسطورة توظيفًا فكريًا لخدمة أغراض سياسية واجتماعية وللتعبير عن قلق الإنسان وخوفه ومعاناته، توظيفًا جماليًا ليغني النص الشعري فنيًا، ولإبراز أبعاد جمالية ذات صلة بالتكثيف والإيحاء، وأسطرة الواقع، وكل ما له صلة بإعادة الأسطورة إلى أرضها ثانية.
كلمات مفتاحية: مفهوم الأسطورة، توظيف الأسطورة، البياتي، القارئ.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

Abstract:

This article deals with Mythology and its functions in Abdul Wahab Al-Bayatis poetry. It outlines the concept literally and functionally and the motives for using Mythology by this poet which are of two types: the subjective motives or are the personal arientations and inclinations of the poet and the technical motives, which are related to the nature of poetry.

The research also deals with the employment of Al Bayati for the legend in his poem (Souk Al Madina, Al aougid), representing the legend that helps the poet to link the dreams of the subconscious with the activity of the apparent mind, as well as the present being in the past. To develop the poet's creativity and raise the individual event and the human personality experience of a legendary nature.

For political and social purposes and for the expression of human worries ، fears and suffering. It also mention that the poet also has used this mode of expression aesthetically to enrich the poetic text and add another aesthetic dimension to his work, thus making mythology play its original basic role, which is connecting far-fetched myths to likely realities.

Keywords: Mythology, functions of Mythology, Al-Bayati and Readers.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه ومعاذاً من بلائه وسبلاً إلى جنانه والصلاة والسلام على رسوله نبي الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة وعلى أهل بيتهِ مصابيح الظُلُم وعصمة الأمم ومنار الدين الواضحة وعلى صحبه المنتجبين الأخيار.

أما بعدُ...

إنّ الشعر هو القالب الفنيّ الذي استوعب ومازال يستوعب تاريخ الأمم بكل ما حوته، وعلى اختلاف أنواعها وثقافاتها ومعتقداتها، وهذا ما جعله يرقى يوماً بعد يوم ويكون محطة أنظار الدراسين والباحثين قديماً وحديثاً.

ويعدَّ بذلك حقلاً عملياً لتجارب الشعوب والأمم والعصور، ونظراً لتطور المذاهب والحضارات والثقافات كان عليه مجاراة التطور والتأثر بها.

ولعل ما ينماز به الشعر في العصر الحديث دخول الأسطورة ورموزها في الأعمال الشعرية العربية الحديثة عامة، وشعر الرواد وما بعدهم في العراق خاصة، فكانت الأسطورة هي الجزء الناطق والأساسي من الشعائر البدائية المقدسة، التي نمَّاها الخيال الإنساني واستخدمته الآداب العالمية، فهي تلك المادة التراثية التي صيغت في عصور الإنسانية الأولى وعبَّر عنها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكرهِ ومشاعرهِ تجاه الوجود.

فالشاعر المعاصر اتخذ من الأسطورة وشخوصها أداة تعبيرية لمعاناة فكرية ونفسية، فقد وجد في ذلك متنفساً لآلامه وآماله التي جسدها في الأحداث التاريخية، إذ توغلت الأسطورة في شعره بعد أن أدرك في هذا التوظيف الدلالي من فنيتها ما يستطيع التوفيق به بين أصل الأسطورة ورموزها والمحتوى الدلالي وما حملته، وحالة ما يُريد أن يعبر عنه.

يمثل البياتي واحداً من الشعراء الرواد الذين أسسوا للمدرسة الشعرية الجديدة، الذي وظف الأسطورة ورموزها في شعره، فانغمست روحه في قضايا وطنه، وتكّون لديه إحساس عميق بزيف الحضارة – مدينة، وإنساناً، وسلطة – ولجأ في تعبيره عن ذلك إلى وسائل فنية جديدة منها الأسطورة ورمزيتها التي أولاها اهتماماً كبيراً في شعره فضلا عن القناع والشخصيات التراثية، أما الأسطورة فراح يتتبعها في منابعها المتنوعة – بابلية، ومصرية وعربية فضلاً عن غير العربية منها – حتى أصبحت جزءاً من وعيه الفكري، وبنية راسخة في نسيج شعره.

والقارئ لشعره يلحظ بوضوح ظلالاً أسطورياً حتى في أشعاره التي خلتْ من الأسطورة بوصفه يدُخل ضمن من مثل المدرسة التي بزغت مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ومازالت مستمرة إلى اليوم، إذ يُعدُّ البياتي بعد السياب ممّن عمل جاهداً لتمثيل الأسطورة ورموزها كوسائط فنية بينه وبين المتلقي، فهو لا يصوغ أساطير ولكنه يشكلها، ويمتزج معجمه الشعري أحياناً برموزها كما قدمنا، فتسري ظلال الأسطورة في شعره كما تُصهر عضوياً مع بناء قصيدته.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

فالأسطورة موضوع دخل أدبنا العربي الحديث، وبدأت العناية بها منتصف القرن الماضي – تقريباً – إذ تناولتها دراسات كثيرة، كما فعل الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه (الشعر العربيّ المعاصر، قضاياه وظواهره الفنّية والمعنوية) والدكتور أنس داوود في كتابه (الأسطورة في الشعر العربي الحديث) والدكتور يوسف حلاوي في كتابه (الأسطورة في الشعر العربيّ المعاصر)، ولم تتطرق هذه المؤلفات إلى الأسطورة في الشعر للبياني تحديداً إلا بالنزر القليل.

أما الدراسات التي تعرضت لشعره، فهي دراسة الأستاذ طرّاد الكبيسي (مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي)، ودراسة الباحثة ريتا عوض في كتابها ((أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث)) ودراسة د. محسن أطيمش في كتابه ((دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنيّة في الشعر العراقي المعاصر)) إذ تناولت هذه الدراسات الأسطورة من حيث هي ظاهرة جديدة في الشعر العراقي بعامة وعند الرواد بخاصة.

ودراستنا هذه لتسليط الضوء على توظيف الأسطورة في شعر البياتي وقراءة النص وتحليله وتذوقه بُغية استجلاء جمالياته الفنيّة وتطور استخدام الأسطورة مفيداً من المنهج التاريخي والنفسي للتحليل والنقد.

وإنني لم أدخر وسعاً وجهداً في بجني هذا بإخراجه بالصورة المرضية مع علمي بأنني لم أوفِ حقّ هذا البحث، فإن بدا فيه التقصير والخطأ فالله خير الغافرين والله أسأله أن يجبر الكسر ويعظم الأجر والحمد لله وما توفيقي إلا بالله.

التعريف بالأسطورة:

تعددت تعريفات الأسطورة وتنوعت، فراحَ النقد يعالجها ممّا جعله يكشف خبايا ما وظفت لأجلهِ في النَص الشعريّ العربيّ تحديداً، لتزويده بإيحاءاتها ودلالاتها الجماليّة التي تجعل النّص الشعريّ يُدخل في خلق النّص الإبداعي فيهِ حمولاتٍ فنيّة وغير فنيّة.

فإنّ الخوض في هكذا وسيلة فنيّه جديدة كالقناع والشخصية التراثية والمنولوج والرمز والأسطورة، التي هي موضوع الدراسة يُلجئنا إلى البحث عن أصلها في الدلالة اللغويّة والاصطلاحية للخروج بتعريف واضح، ففي الدلالة اللغوية لا يختلف أصلها عن أنها من ((سطر، والسطر: الصفُ من الكتاب والشجر والنّخل ونحوها ... والأساطير: الأباطيل، والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطار، وإسطارة بالكسرة، وإسطير، وإسطيرة، وأسطور، وأُسطورة بالضم))(ابن منظور، 2007: ج3 مادة سطر) و(الفيروز آبادي، 1953: ج3/ 49) . هذا ما أورده ابن منظور والفيروز آبادي، ويتبين أنهما يجمعان بين دلالتين الأوّلى الصف من الشيء وهو المعنى الطبيعي لأول كل مادة، والثاني: وهو ما يخص الأسطورة من أن فيها قصد الحديث وذكر الأباطيل التي لا نظام لها.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في آيات عديدة منها ما جاء مقروناً بلفظ الأولين، ومنه قوله تعالى: ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)) (القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية : 5).

إن وصف الأساطير بالأباطيل أمرٌ لا يتوافق وطبيعة أصحابها ومبتكريها الذين لم يريدوا بها باطلاً، وبوصفها قد مثلت مرحلة فكرية في حياة البشرية عبَّر فيها الإنسان عن علاقته بالعلم، وعن تفسير كل ما حوله من النشاطات الطبيعية وعلاقات البشر بالخير والشر.

أما التعريف الاصطلاحي فهو مختلف في كثير من الأحيان لصعوبة تحديد مفهوم واضح لها وترجع هذه الصعوبة أساساً إلى أن ((الأسطورة باعتبارها شكلاً من أشكال التعبير قد تناولت ووقع مقاربتها من خلال أكثر من وجهات النظر اختلافاً دون الظهر بتعريف موحد ودقيق يكون محل إجماع، ذلك أنّ الأسطورة تمتد جذورها إلى شتى المعارف الإنسانية، بل إنها تمثل المشغل الذي تهتم به جميع العلوم والمعارف، فعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء واللغة المهتمون بالثقافة والأنثروبولوجيا والمناطقة وعلماء الأديان والفلاسفة ومؤرخو الأديان (...) يهتمون اليوم بالأسطورة ويولونها عنايتهم)) (محمد صالح، 2006 : 10-11).

لقد ذهب صاحب كتاب ((معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)) على أنها تمزج بينه الواقع والخيال، فهي ((قصة خرافيّة يسودها الخيال، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة، وينبني عليها الأدب الشعبي)) (مجدي وهبة، وكامل المهندس، 1984: 32) وهذا ما ذهب إليه د. أنس داود، وجبور عبد النور اللذانِ ينظران إلى الأسطورة على أنها مزج بين الخيال والواقع ويزيد الرواة فيها مع مضي الوقت فتصبح غنية بالأخيلة والأحداث والعقد (أنس داود، د.ت: 19) و(جبور عبد النور، 1979: 19). وهو ما ذهب إليه أيضا (خليل أحمد خليل) من أنه كان للإنسان اعتقاد بقوى ما فوق الطبيعة اعتقد الإنسان بألوهيتها (خليل أحمد، 1996: 75).

أما من أوّلها بالجانب الخيالي فيقول فيها: ((مفهوم الأسطورة يشمل ما ليس واقعياً أي كلّ ما لا يصدّقه العقل، فكل قضية تعتمد على أُسس غير علمية، لا يكون ثمة شك في أنها نتاج لخيال أسطوري)) (علي عشري زايد، 1978: 220).

وهذا لا يعني أن آلية توظيف الشاعر لها لا تعدُّ إبداعاً أو هروبا من مواجهة الواقع ودعوة لسيادة الظلم، ودعوة إلى إلغاء العقل ((فالفكر الأسطوري القائم على أساس غيبي لا عقلاني (...) له منطقهُ المختلف تماماً عن الفكر الموضوعي. والأسطورة تنزع دائماً إلى إضفاء صفات قدسيّة غامضة على مواضيعها وأشيائها وأشخاصها، ولا مشاحة أن الأسطورة لها عملياً مستلزمات غيبية تستند إليها في الواقع، وتنعكس بواسطتها على المجتمع وعلى السلوك السياسي، الطبقي فيه. فالوسائل المتولدة من جراء الأسطورة أو المولدة لبعضها، تتحول في المجتمع إلى أدوات إضافية

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

للسيطرة على ملكية محددة لوسائل الممارسة الأسطورية إذ جاز التعبير والافتراض)) (خليل أحمد، 1973: 25).

وهذا الخطاب يمكن أن يدخل ضمن التناص الأدبي مع تاريخ الأمم وآدابها وما يتعلق بالميثولوجيا بوصفها حكايات تروى عبر الزمن من جهة الشكل وتروى عن كائنات تتجاوز العقل لآلهة أو أنصاف آلهة من البشر من جهة الموضوع.

فهي بعد كل هذا تقص لنا حكاية خيالية تفوق مقدرة العقل البشري كون أبطالها آلهة أو أنصاف آلهة لتحكي حبكتها حول الظواهر التاريخية فضلاً عن الظواهر الطبيعية وتأخذ شرعيتها من القداسة الدينية ولها شعائر وطقوس وهي متشابهة إلى حد كبير بين الأمم وإن اختلفت في تطبيقها أو تداخلت عند حدود الخرافة والحكاية الشعبية، فإن الأسطورة تبقى نسيجاً متميزاً.

وعلى ما يبدو فمضمون الأسطورة يتعلق بالقداسة، إذ الكائنات الخارقة والآلهة هي التي يضطلع فيها الدور الأساسي، فهي على حد تعبير (كراب) حكاية تلعب فيها الآلهة دوراً أساسياً فأكثر (محمد عجينة، 2005: 63).

إن اعتبار الأسطورة ((حكاية تقليدية مقدسة، ملأى بالخوارق التي يتقبلها العقل المنطقي أقرب ما يكون إلى الخرافة لولا أنها مقدسة، أي إنها محل اعتقاد في حين أن الخرافة ليست محل اعتقاد من أحد، لا من الذي يقصها ويرويها ولا من الذي ينصت إليها)) (محمد عجينة، 2005: 24).

وما تقدم له وجهة متقاربة في المصطلح النقدي على أن الأسطورة ((سرد قصصي لا يمكن إسناده إلى مؤلف معين، يتضمن بعض المواد التاريخية إلى جانب مواد خرافية شعبية أَلِفها الناس منذ القدم. مثال ذلك قصص الزير سالم وعنترة)) (مجدي وهبة، وكامل المهندس، 1984: 22).

فهي وسيلة تدعم رؤية الشاعر ليخلق بها نصه الإبداعي ويريد من خلال توظيف الأسطورة أن يعد جسور التواصل بين الماضي والحاضر. ولأن التراث الإنساني ضروري ولأن الحضارة الإنسانية سلسلة متتابعة ومتكاملة من صراع الإنسان مع الحياة، فإن الأسطورة وحدة لا يمكن تجزئتها من منظومة العقل البشري، وهذا ما أكده طراد الكبيسي الذي يرى أنه ((عندما يُوصل الماضي بالحاضر، والأسطورة بالحقيقة، والناقص بالمثال، وتتألف أجزاء الكون في وحدة الوجود الإنساني الأغنى، حينئذ تولد المعجزة، إنه يجري بفهم إلى الحياة ...)) (طراد الكبيسي، 1974: 33).

الأسطورة وتوظيفها في الشعر:

حاول معظم المهتمين بالأدب الحديث تلمس الأسباب التي دفعت شعراء الحداثة إلى إقامة هذا الترابط العضوي والأساسي بين الشعر والأسطورة فلاحظوا أنها تعود لتأثير الأدب الغربي من جهة والأسباب تتعلق بطبيعة الأسطورة، ومنهج الأسطورة من جهة ثانية(عبد الله خضر، د.ت: 242).

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

لقد ساعدت عوامل أخرى على تعامل شعراء الحداثة مع الأسطورة، فللأسطورة جاذبية خاصة لأنها تصل بين الإنسان والطبيعة، وهو ما ذهب إليه (إحسان عباس) في قوله ((أما من الناحية الفنية الخالصة فالأسطورة تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية، وإخراج القصيدة من الغنائية المحض، ويساعد على تنويع أشكال التركيب والبناء)) (إحسان عباس، 2001: 165).

ويرى د. أحمد عثمان أن الشعراء يلجؤون إلى استخدام الأسطورة لأنها مكمن للصور الشعرية، فيقول: ((وفي الأسطورةأيضا تكمن صور شعرية موسومة بآلاف الخبرات، وبكل الألوان والاتجاهات، لأنها من صنع الناس، ولأنّ كل عصر يضيف إليها شيئاً يتواءم مع تفكيره وحسه)) (مجلة فصول، 1983: 37)، وهذا ما دفع بالعديد من شعراء الرواد وما بعدهم بعد اطلاعهم على التراث العربي والأدب العربي على توظيف الأساطير وبما يتلاءم في أشعارهم.

وهذا ما كان يؤمن به الناقد غالي شكري من ((أن حركة الشعر الحديث في استخدامها الأسطورة كانت تعبيراً حضارياً شاملاً عن الاحتياجات الروحية والجمالية العميقة الجذور في النفس العربية المعاصرة، وهي محاولة قد تأثرت بلا ريب بجهود شعراء الغرب، ولكنها لم تتوقف قط على أعتابهم، بل أدركت أن التكوين التاريخي للإنسان العربي أكثر استعداداً لاستخدام تراثه الأسطوري الذي سبقنا الغرب إلى الإفادة منه)) (غالي شكري، 1978: 139).

يلجأ الشاعر إلى الأسطورة في الفكر العربي المعاصر وذلك ليستحضر البطولة الغائبة في عصرنا وحنينه إليها لتخلصه من الاستبداد أو الألم أو تمارس دور المنقذ، فهي توق واشتياق لزمن نظيف وتاريخ غير ملوث بأمثال الطغاة والظلمة وما يفتكون به من بني البشر فهو استدعاء للتخلص من كل هذه الأمور التي يعيشها الشاعر، استدعاء لرموزها وشخوصها التراثية القادرة على بث الاستقرار والعدالة في نسق الواقع المعاصر وبالتالي التحريض على تغييره بفعل إضاءتها تاريخياً، ودلالة هذه الإضاءة تكمن في المستوى الإنساني أولاً والاجتماعي والسياسي على حد سواء.

فرغم التجديد الحاصل في الشعر إلا أنه لا يعني أنّ الرجوع إلى التقليد المتمثل في استجلاب قيمة الأسطورة أو تمثل روحها في ما ينتجه الأديب المعاصر، بل إنه يعني تفهم روح هذه الأساطير ومحاولة توظيفها لما يتناسب والحالة التي يحتاج الأديب أن يتكلم فيها، فهم هنا إنما استخدموا منهج الأسطورة القديمة في صنع أساطير عصرهم، وقد ساعدهم على هذا بطبيعة الحال ذلك الاستعداد الإنساني الدائم للاستجابة للأشياء بطريقة قديمة (محمد العبد، 1991: 156).

فالأسطورة تكتنز في داخلها دلالات عميقة إنسانية وحضارية استطاع الخطاب الشعري العربي الحديث والمعاصر أن يكشف عنها بأعمق حالاتها الإنسانية والوجدانية.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

التنوع الوظيفي للأسطورة عند الباحثين:

إنَّ اختلاف توجه الباحثين في النظر للأسطورة أدّى لتنوع وظائفها، فبعضهم يعزو إليها دوراً حضارياً، وآخر يقول إنها تربط الماضي بالحاضر وتوحد التجربة الذاتية والجماعية وتنقذ القصيدة من الطابع الغنائي، وتفتح آفاقها لقبول ألوان عميقة من القوى المتصارعة، فلهذه الأسباب ولغيرها راح الشاعر الحديث، يبحث عنها ويعتمدها أنّى وجدها.

فمنهم من رأى أنها تؤدي الدور الحضاري (إيلياد ميرسيا في كتابه ملامح الأسطورة) قائلا: ((إنها تعبر عن المعتقدات والشرائع، وتبرز شأنها، تصون المبادئ الأخلاقية وتفرض العمل بها، تكفل فعالية الاحتفالات الطقسية، وتقدم القواعد العلمية المتصلة بشؤون الحياة اليومية)) (إيلياد ميرسيا، 1995: 25) .

((ويؤكد أنّ لها وظيفة أخرى أساسية وتتمثل في الكشف عن النماذج المثالية لكل الطقوس ولكل الفعاليات الإنسانية ذات الدلالة)) (إيلياد ميرسيا، 1995: 14).

وينظر ريتشارد تشيش في كتابه ((البحث عن الأسطورة)) في وظيفتها، فيرى أنها تشترك مع الشعر في الوظيفة التطهيرية(صبحي محي الدين، 1988: 106). ويضيف يونغ إلى جانب هذه الوظيفة وظيفة أخرى معرفية: ((بل وظيفتها إعطاء معرفة: الأحلام تعطينا معرفة بأنفسنا)) (صبحي محي الدين، 1988: 112).

يُعدَّ استغلال الأسطورة في الشعر العربي الحديث ومنه في العراق عند الشعراء من أجرأ المواقف الثورية فيه وأبعدها تأثيراً، ففي ذلك استعادة للرموز القديمة واستخدام لها في التعبير عن أوضاع الإنسان العربي المعاصر، وارتفاع بها إلى أعلى مقام وتحويل التاريخ إلى جزء من الأسطورة، بوصفها تصل بين الإنسان وطبيعته وبين حركة الفصول وتناوب الخصب والجذب، وبذلك تكفل نوعا من الشعور بالاستمرار، وتُعين على تصور واضح لحركة التصور في الحياة الإنسانية (خالد عمر، 2014: 33).

لقد وقف الشاعر عبد الوهاب البياني منذ ديوانه البكر (أباريق مهشمة) على الأسطورة فحاول أن يُثير الإشارات التاريخية، والأساطير منها اليونانية (سيزيف، وبروميثيوس، وأوديسيوس، وبلوب، وأدونيس، وفينوس، ويرسفون) ومنها البابلية (تموز وعشتروت) ومنها العربية (السندباد، وشهرزاد، وعنترة ...) ومنها العبرية (المسيح، والعازر، ويهوذا ...).

ويُعدُّ الباحث الدكتور (خالد عمر يسير) من أهم من وقف على وظيفتين في شعر البياتي وهما (خالد عمر، 2014: 134 وما بعدها):

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

أ- التوظيف الفكري:

للبياتي معاناة مع العذاب والغربة والنفي، فهي صورة من صور معاناة البشر، ومن معاناة الإنسان في وطنه - الألم والعذاب والتشرد والفقر والظلم - التي يحاول الشاعر وأي شخص آخر التخلص منها واستبدالها بحياة أفضل منها، فالشاعر يؤمي إلى مأساة وطنه التي دفعت به إلى المنفى، فذكر أسطورة "سيزيف" مثالاً يعبر عن صور متعددة للعذاب والآلام المتجددة التي واجهها الإنسان في عصره وما يعانيه بنو البشر بعده، إذ تأتي أسطورة سيزيف لتحتضن هذه المعاناة، ولتجعلها امتداداً لبحث الإنسان عن مجرد ميلاد جديد يحمل معه خلاصه.

وتكون الأسطورة عند الشاعر في بعض الأحيان تعبيرا عن فكرة الانبعاث والتجددُ التي شغلت عدة دواوين من عمله (الفينيق، تموز، المسيح... وغيرها من الأساطير المبثوثة في شعره والمعبِّرة عن فكرة الموت في الحياة رغم حياته، وعن أفكار أخرى). فمعاناة البياتي كإنسان هي جزء من معاناة الشر أينما كانوا وعذابه بعض من عذابهم.

ويتخذ الشاعر من الأسطورة أحياناً وسيلة لإيصال أغراضه السياسية إلى القارئ بُغية تجنب مضايقات السلطة التي كان يقف في وجهها، ولإثراء تجربتهِ الشعرية فضلا عن تأكيد مشاركته السياسية، فالأسطورة رمز يحمِّله آراءه في السياسة وأهلها. يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي ((لقد حاولت أن أوفق بين ما يموت وما لا يموت، بين المتناهي واللامتناهي، بين الحاضر وتجاوز الحاضر، وتطلب هذا مني معاناة طويلة في البحث عن الأقنعة الفنية، ولقد وجدت هذه الأقنعة في التاريخ والرمز والأسطورة)) (عبد الوهاب البياتي، 1968: 34).

فهو هنا يعترف بأنه قد جاهد لأجل استبطان الأسطورة من منابعها وصهرها في شعره بما يليق بها ثقافياً وإنسانياً فيذيبها في قوالب جديدة لتظهر بما ينسجم وثوب العصر.

ب- التوظيف الجمالي:

إنّ استخدام الأسطورة عند الشعراء يعني استحضار كل أو بعض دلالاتها وطاقاتها الإنسانية الجمالية، فكل من الجمال والفن والدلالة الإنسانية بدلاً من الأيديولوجيا باتت أمورا مهمة لتأكيد جماليات الخطاب الشعري العربي الحديث والمعاصر.

ومن هنا فإنّ مهمة الشاعر في قصيدته تتجلى في قدرته على تخليص خطابها من آنيتها وفرديتها وهمّها الداخلي لتصبح مؤثرة عند المتلقي عامة فينبض حسّ بالجمال والمتعة، وتحرك طاقة العقل في الفكر والتخييل، فالأسطورة ليست حادثة تاريخية، ولا تتركز قيمتها في كونها رؤية تاريخية، بل في قدرتها على أن تكون فناً وجمالاً، ورؤية إبداعية، ولا بد من أن تكون هناك مراعاة لجانبها الفني والجمالي ومراعاة جانبها الغنائي.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

إن ما يضفي الجانب الجمالي على القصيدة هو مقدرة الشاعر في إسقاط مضامين الأسطورة على الواقع المعيشي، وقدرة الشاعر في جعل الأسطورة تتجاوز السياق التاريخي الذي يولد فيه إلى سياق تاريخي جديد فهي كما يقول هانز ميرهوف.

((نسق لا زماني، وهي لا زمانية في كونها حاضرة أبداً كتذكير دائماً بالعود الأبدي للشيء نفسه)) (محسن أطيمش، 1982: 122).

وإن استخدام البياتي للأسطورة في شعره أمده بطاقات جديدة أغنته، فصارت أكثر تكثيفاً وأكثر إيحاءً دون أن يشكِّل ذلك عبئاً عليها، إذ زاد في رمزيتها من جانب ومن جانب آخر زاد في جماليتها.

إنّ أهم قضية يجب مراعاتها حينما يتعامل الشاعر مع الفكر الأسطوري هي قضية الرؤية والموقف بالنسبة للزمان والمكان وإلغائهما، بحيث يبدو زمان الأسطورة هو كل الأزمنة ومكانها كل الأمكنة، فحضورها دائم فالأسطورة ليست نتاجا جماعيا، ونحن لا نعرف لأي أسطورة مؤلفاً واحداً. ذلك أن كل أسطورة رؤيةُ شعب كامل، حاول أن يدرك المجهول ويفسّره ليصل إلى القوانين الكلية التي تدير الكون، ويمسك بالحقيقة لحظة انبثاقها وتوهجّها، وهذا يعني أنها ليست نشاطاً عقلياً بل هي نبوءة الإنسان الأول. غير أنَّ النبوءة لا تتحقق كرسالة تمارس فعلها في التاريخ إلا متى أفلتت من شرط الزمن، عندها فقط لا يدركها البلى، وهنا يكمن ما حققته الأساطير وما تصبو إليه القصيدة الجديدة)) (محمد لطفي اليوسفي، 1985: 144).

يعتقد الناقد غالي شكري: ((أنّ حركة الشعر الحديث في استخدامها الأسطورة كانت تعبيراً حضارياً شاملاً عن الاحتياجات الروحية والجمالية العميقة الجذور في النفس العربية المعاصرة، وهي محاولة قد تأثرت بلا ريب بجهود شعراء العرب، ولكنها لم تتوقف قط عند أعتابهم، بل أدركت أنّ التكوين التاريخي للإنسان العربي أكثر استعداداً لاجترار تراثِهِ الأسطوري الذي سبقنا الغرب إلى الإفادة منه)) (غالي شكري، 1978: 139).

دوافع البياتي إلى الأسطورة:

أ- دوافع ذاتية:

لبعض النقاد رأي في أنّ غنى تجربة البياتي بعالمي الأسطورة والمعرفة غير متناه، ومرجعه لثقافته التي تنوعت بتنوع مناهل مشربه، إذ يصعب أن نرى له مثيلاً في الشعر العربي -إلا نادراً- مثل المعري في عصره، إن لم نكن مبالغين، بوصفه يضرب في جذور حضارات عريقة ومتعددة، وأنه يبدو من أكثر الشعراء العرب التصاقا بالأسطورة التي غدت جزءاً بارزاً في بناء قسم كبير من شعره (طراد الكبيسي، 1974: 33).

مجلة وميض الفكرللبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

يعود سبب ما قدمنا إلى غربة الشاعر في منفاه إذ أدت إلى فقد حياته ولجوئه إلى الأسطورة التي رأى فيها معادلاً موضوعياً لما عاناه هو صغير – ولا سيما أساطير الموت والانبعاث – فلقد عاش طفلاً صغيراً حياة أشبه ما تكون بالموت وكبيراً يعاني الموت ألف مرة في غربته ومنفاه.

وتعلق الباحثة (ريتا عوض) على تأثير هذه المرحلة على شعره قائلة: ((استطاع البياتي في هذه المرحلة بالرمز والأسطورة أن يوحِّد بين تجربتهِ الذاتية الخاصة وبين التجربة الإنسانية العامة التي تسكن لأوعية، وكانت قضيته الأساسية هي الفقر ومواجهة الموت في الريف العراقي حيث عاش طفلاً فالحياة التي عاشها هذا الطفل (البياتي) أشبه بالموت نفسه)) (ريتا عوض، 1978: 175).

وجد البياتي في الأسطورة ملاذاً له يُحمِّلها همومه وأحلامه، ونعني عالمه الفكري تحديدا، فصار يبحث فيها عن ذاته بأبطالها وشخوصها؛ ليتخلص من حزن الحاضر أو وسيلة لتنقلنا إلى عالمه الشعري المؤثر من خلال ما يؤثره فينا بنقل أحاسيسه وما يعتمل في مشاعره إزاء الواقع المؤلم.

ب– دوافع فنية:

يرى الدكتور (خالد عمر يسير) أنّ ما أكسب معظم شعرائنا العرب في شعرهم الأبعاد الإنسانية والفنية الجديدة، هو تأثرهم بالغربيين من الشعراء، ولا سيما منهم الشاعر (ت. س. إليوت)، الذين تواصلوا شعرياً مع التراث الفكري الإنساني تواصلاً موسعاً وعميقاً فبرزت في شعرهم صور متعددة تعبر عن فنية أدبية كالقناع، والأسطورة، والمونولوج، وغير ذلك فلجأ إليها كثير من الشعراء ومنهم البياتي (خالد عمر يسير، 2014: 131-132) الذي يولي الأسطورة أهمية كبيرة في الشعر: ((إن الرمز والأسطورة والقناع أهم أقانيم القصيدة الحديثة، وبدونها تجوع وتعرى، وتتحول إلى مشروع أو هيكل لجثة ميتة)) (محسن أطيمش، 1982: 121).

فمعاناة الشاعر والصمت والموت... والرحيل المستمر من منفى إلى آخر، وموت الثائرين قادَ البياتي إلى إيجاد الأسلوب الشعري الجديد الذي حاول فيه أن يوفق بين ما يموت وما لا يموت أي بين الحاضر وتجاوز الحاضر (عبد الوهاب البياتي، 1995: ج/2: 36-37).

فضلاً عما ذكر من التأثر بالغرب، فالمثاقفة معهم على المستوى الشعري أعطت شعرنا العربي الحديث ملامح جديدة طورته، وأغنته، وتفاوت الشعراء في الاستفادة من ذلك، وربما كان البياتي من الأكثر حظاً بينهم تطويراً لشعره، محتلاً بذلك المكانة البارزة والحظوة العظيمة والتمييز من جهة أخرى.

توظيف أسطورة ((سدوم)):

ومن بين الأساطير التي وظفها الشاعر ((عبد الوهاب البياتي)) في مجموعته (أباريق مهشمة) أسطورة (سدوم) من خلال قصيدته المعنونة ((سوق القرية)) ليفيد من دلالتها القديمة، وهو حين

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

يمارس هذا الفعل فإنه يتخذ من نقل تلك الدّلالات الماضية إلى واقعة اليومي ما يجعلها تحمل موقفاً جديداً يرفض كل قيم تلك المدن المشبهة بسدوم.

وسدوم هي مدينة في سهل نهر الأردن على مقربة من البحر الميت، ورد ذكرها في الكتاب المقدس (العهد القديم) حيث سكنها قوم (لوط) عليه السلام، ودمرها (يهوه) إله اليهود بالنار والحجارة الكبريتية من جراء الموبقات التي اقترفها أهلها، ومجمل ما روي من أحداثها أن ملكين قدما إلى مدينة (سدوم) مساءً وكان لوط جالساً على بابها، فقام لاستقبالهما ودعاهما إلى بيته، ثم أحاط بالبيت رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ، وتقدموا ليكسروا بابه، وبشروق الشمس رمى الربّ على سدوم كبريتا وناراً فأبادَ نسلها وخلق نسلا جديدا مطهرا من الدنس، فما سلم من غضب الله سوى (لوط) وابنتيه، لأن زوجته التفتت إلى الوراء رغم تحذير لوط النبي لها، فتحولت إلى عمود ملح، وكانت من الهالكين، وهكذا انتقم الرب من المدينة بسبب ممارستها للجنسية المثلية (اللواط) (إمام عبد الفتاح، د.ت: مج 3: 226).

فكيف وظف الشاعر (البياتي) هذه الأسطورة في قصيدته؟ (عبد الوهاب البياتي، 1995: ج/1 : 134-135).

الشمسُ، والحمرُ الهزيلةُ، والذبابْ
وحذاءُ جنديٍّ قديمْ
يتداولُ الأيدي، وفلاحٌ يحدّق في الفراغْ:
((في مطلع العام الجديدْ
يدايّ تمتلئان حتماً بالنقود
وسأشتري هذا الحذاءْ))
وصياحُ ديكٍ فرّ من قفصٍ، وقديس صغير:
((ما حكّ جلدك مثل ظفرك))
و((الطريق إلى الجحيم
من جَية الفردوس أقربُ)) والذبابْ
والحاصدونُ المتعبونْ:
((زرعوا، ولم نأكلْ
ونزرع، صاغرين، فيأكلون))
والعائدون مِنَ المدينة: ((يا لها وحشاً ضريرْ
صرعاه موتانا، وأجسادُ النساءْ
والحالمون الطيبونْ))
وخوارُ أبقارٍ، وبائعةُ الأساور والعطورْ

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

كالخنفساءِ تدبُّ: ((قبرّتي العزيزة)) يا سدوم!
لن يُصلح العطّارُ ما قد أفسدَ الدهر الغشومْ
وبنادقٌ سودٌ ومحراثٌ، ونارْ
تخبو، وحدّادٌ يراودُ جفنه الدامي النعاسْ:
((أبدا، على أشكالها تقعُ الطيورْ
والبحرُ لا يقوى على غسل الخطايا، والدموعْ))
والشمسُ في كَبِدِ السماءْ
وبائعات الكرم يجمعنَ السلالْ:
((عينا حبيبي كوكبانْ
وصدره ورد الربيعُ))
والسوقُ يقفزُ، والحوانيت الصغيرةُ والذبابْ
يصطاده الأطفال، والأفقُ البعيد
وتثاؤبُ الأكواخِ في غابِ النخيلْ.

أول تجلٍّ للأسطورة في هذا النص الشعري، كان من خلال ذكر اسم المكان (سدوم) وذلك بذكر قرينتها كلمة (قرية) إذ لم يحدد الشاعر أية قرية هي، ويتضح أن الشاعر مصور بارع يقترب من شيء يريد أن يدلل عليه في آخر قصيدته من خلال ترابط مجموعة رؤى يطرحها بدءاً من عنوان قصيدته (سوق القرية) والذي ينعم النظر يجد عدم فصل أي صورة عن بعضها البعض ((فليست الغاية من عرض هذهِ الصور وصف سوق القرية أي يهدف الشاعر إلى الكشف عن الخمول والكسل اللذين يسيطران على القرية مع الفقر المدقع الذي تعيشه وهذا ما يشدّ صورة إلى أخرى ويُظهر القصيدة في وحدة تامة ذات جو متكامل)) (جلال الخياط، 1970: 138).
إن تجلي الأسطورة من غير ذكر تفاصيل الحدث بكلياته لا يعني أن الشاعر لم يوظفها توظيفاً صحيحاً، إنما أراد الشاعر أن يطابق الجال التي يعيشها الفرد في وطنه بمختلف فئاته (الجندي – الفلاح – بائعة الأساور الحداد – بائعات الكرم – الأطفال). فكلهم قد لعنوا من آلهة البشر الذين تسلطوا عليهم فهذه الشرذمة من الضلال التي حكمت قد صبت غضبها على كل شيء حتى النبات والحيوان، فقد نزلت على القرية وسوقها رغم الأمان الذي كان أهلها يرغبون بتحقيقه بدءاً بالجندي وشرائه الحذاء؛ ((في مطلع العام الجديدْ / يداي تمتلئانْ حتماً بالنقود / وسأشتري هذا الحذاءْ)).
فالبياتي شاعر اجتماعي لا يكتفي بتسليط الأضواء على مظاهر الشقاء والتعاسة، وإنما نراه يرسم أمام هذه الصور ما يناقضها في المجتمع ليبرز مدى الألم والمعاناة فيلجأ إلى فضح تلك التناقضات وما فيه من مفارقات معيشة في قريته وسوقها، فما هو إلا المعادل الموضوعي للنبي (لوط) الذي

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

يريد الإصلاح في قومه! فيقول: ((والعائدون من المدنية: يا لها وحشاً ضرير / صرعاه موتان، وإحساد النساءْ / والحالمون الطيبون).

حين يستحضر البياتي أسطورة (سدوم) فهو يستحضرها ليربط بين مدينة سدوم وبين قرية مرَّ بها ليصف حالة الدمار التي حلت بها مستحضراً بذلك الحدث الأسطوري من زمنه السابق إلى عصره، وقد لجأ الشاعر إلى التناص مع أقوال وأمثال معروفة ليدلل بها على غاية منها ((ماحك جلدك مثل ظفرك، زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر، إن الطيور على أشكالها تقع)) وهذه الأقوال، رغم أهميتها، لا تجدي نفعاً أمام ما حل من فساد وخراب بالقرية وأهلها، فهذه الأحاديث اليومية على لسان أهلها لا تضع حلاً مجدياً لما آل إليها من مصير ((البحر لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع)).

فهذه تدلل على الاشتراك الدلالي على توظيف جزئيات الأسطورة (سدوم) من مصير أهلها ووقوعهم في الخطايا وأن الدموع لن تغفر لهم فإذا كانت سدوم قد اكتست ثوب الدمار والخراب فإن ما حلّ بقرية البياتي من الحزن والألم والأمل الضائع والفقر والمرض فكلا المستهدين ينتهي بشبه من الدمار ((والسوق يقفر، والحوانيت الصغيرة والذباب / يصطاده الأطفال، والأفق البعيد / وتثأوبُ الأكواخ في غاب النخيل).

وهنا تجسد أسطورة سدوم نقمة الشاعر بسبب ما سيحلَّ على أهل قريته وسوقها مما يحتاج إلى صحوة قبل حلول العذاب على جميع من فيها، فلا بُدَّ من معرفة الحل لأن سدوم التي أمطرها الله ناراً فأحرقها عقاباً وانتقاما ظلت تتجدد باستمرار في مظاهر أخرى في مدينة هذا العصر وقراهُ.

توظيف أسطورة (المأمون) إله المال:

إن توظيف الأسطورة يساعد الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، ويساعد كذلك على ربط الحاضر بالماضي، كما تعمل على ربط التجربة الذاتية الجماعية وتُخرج القصيدة من طابعها الغنائي إلى الطابع الأسطوري.

ويظهر أن استخدام البياتي للأسطورة (مأمون) إله المال في شعره كان من باب تطعيم أدبنا العربي بالميثولوجيا اليونانية غير العربية، وإن لم يكن قد جعلها في مساحة كبيرة من القصيدة التي يقول فيها (عبد الوهاب البياتي، 1995: ج/1 : 137):

((مأمون)) والدولار يدعمه
- بإزائها – والفكر والعدمُ
وصبيّة تبكي، ومركبة
يسطو على حُوذّيها خدمُ
وأرى بغايا ينتحبن على
حُبٍّ تدوس رفاته قدمُ

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

وعيون شحّاذ ملوثة
ودماً يسيل، وباعة وجموا
من أين؟ والأمطارُ تحجبهم
عنّ وسقف الليل ينهدمُ
إنا هجرناهم، وليسَ لنا
في أرضهم بعث، ولا رممُ

يحدثنا الشاعر في قصيدته ((الأوغاد)) عن مدينة وهي غائبة وغير مسماة ولا نعرفها، وحتى الأوغاد الذين يحدثنا عنهم الشاعر غير معروفين، ما يعهدها إلى الآخرين متجاوزاً حدود الزمان والمكان، لينطلق بنا إلى صيغ التكلم الدالة على صوت البشرية جمعاء، وإنما عمد الشاعر لتوظيف أسطورة ((المأمون))، ليفيد من دلالاتها القديمة، التي يتخذ من آليات نقلها خلقاً يتواءم مع عالمه وواقعه اليومي الذي يرفض فيه كل قيم الظلم الذي يتكرر عبر زمانه، فهي صرخة من الشاعر تجسد نقمة جامحة على الشر الذي يسود في بلده من جشع المتنفذين على السلطة فوجود إلهة مختصة بالمال والتجارة في الأديان القديمة يعبر من التداخل العريق بين الدين والمال في التاريخ البشري.

فالمدينة التي يتحدث عنها الشاعر التي ملأها الأوغاد الذين استنفذوا طاقة أبنائها وكل وعودهم غير واقعية في أن يردوا حال المدينة إلى أفضل عهدها:

قالوا: ((الجدار: غداً سنهدمه
برؤوسنا التعبن، وننهدمُ
ونعبد للموتى قد استهم
فيسودنا من نسلهم صنمُ
يأوي البنون إلى حظيرته
وتشرّهم في ركبه قيمُ
قيم مياه الحقد تحملها
من شاطئ الباحث: فتنحطمُ))
(عبد الوهاب لبياتي، 1995: ج/1: 136).

فهؤلاء الأوغاد هم أسلاف من كانوا سابقاً في كل زمان كما في الأسطورة، حيث تسلطوا على هذهِ المدينة فلم يكن فيها غير الظلم والمحرقة، والظلام الدائم، والفقر، وحبيبته تبكي وعيون شحاذ تسيل دماً وبقايا ينتحبن، كل هذه والأرض في هذه المدينة ليس فيها بعث (حياة) ولا رمم.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

ويلاحظ أنّ الأسطورة مقحمة في بناء القصيدة، ولم يستطع الشاعر أن يجعلها جزءاً ملتحماً في نسيجها، وهذا ينسجم مع طبيعة المرحلة الزمنية التي صدر فيها ديوان ((أباريق مهمشة)) عام 1954 حين كان البياتي في مرحلة مبكرة جداً في التعامل مع الأسطورة (خالد عمر يسير، 2014: 138).

فالشاعر يتخذ من الأسطورة أحياناً وسيلة لإيصال أغراضه السياسية إلى القارئ بغية تجنب مضايقات السلطة التي كان يقف في وجهها شأنه في ذلك شأن معاصره السياب – ولإثراء تجربته السياسية فالأسطورة رمز يحمّله آراءه في السياسة وأهلها. (خالد عمر يسير، 2014: 138)

إن هذا التماهي الذي غلب على قصائد البياتي انصب على إضفاء تلك السمات بين العالم الأسطوري والواقع المعيش علماً أنّ الأسطورة ليست جزءا منه. فالشاعر يتخذ من التوظيف الأسطوري مفتاحاً لقراءة الواقع أو رموزا للهروب من ذلك الواقع. هذا من جانب ومن جانب آخر هو اقتصاص للنص القديم بفكرته وتحويره وتوليد معان جديدة منه سبقه إليها شعب آخر لتتماشى وروح العصر.

الخاتمة والتوصيات:

ترتبط نشأة الأسطورة بفجر الإنسانية، إذ كان الوعي الأسطوري يؤمن لأصحابه مقداراً من التناغم والتجانس والمواءمة بينهم وبين الكون وعناصره.

إن توظيف الأسطورة في الشعر العربي المعاصر مسألة في غاية الأهمية، فما من شاعر عربي إلا وظف الأسطورة في أعماله، إذ تشكل نظاماً خاصاً في بنية الخطاب الشعري، وكثافة الأسطورة نفسها تمثل غموضاً وتداخلاً مع حقول معرفية أخرى، فالشاعر عندما يوظف الأسطورة فإنه يستمد التاريخ فيستدعيه رمزاً وأسطورة وشخوصاً وأحداثاً ليستوعب به المكان والزمان تناسباً مع واقعه وما فيه من أحداث تتشابه وتتماثل في حياته.

ولو وقفنا على الأسباب التي ألجأت الشاعر لتوظيف الأسطورة لرجحنا أهم أسباب ذلك وهو التعبير عن أوضاع الإنسان وما يمرُّ به، ولما لها من جاذبية خاصة، ولأنها تجيب عن تلك التساؤلات إذ طالما ظلّ الإنسان يفكر في أصل وجوده في هذه الخليقة، فضلاً عن أنها تبقي له ذلك التاريخ الذي يعد الرحم التي خرجت منها ثقافات الأمم.

إن قتل الأحلام وتغييب الإنسان محلها قيم رفضها الشاعر بسبب الظلم والقهر والحرمان، فوجد الشاعر في شعره أبلغ ما يعبر عن صدق مشاعره فلجأ إلى ما يعتقد به في عالم الموجودات ليربطه مع الواقع وهذا ما فعله الشاعر البياتي في الكثير من قصائده على مساحة ديوانه الشعري.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

يوصي الباحث بأن تدرس الأسطورة في شعر البياتي من الجانب النفسي، وبربط الدراسة بتاريخ قول الشاعر لقصائده لفك شفرة ودلالات المقصود من المبهم الذي لم يعبر عنه الشاعر في أغلب قصائده، إما خوفا على نفسه أو على أهله وصحبته أو لأنه يريد ذلك ليلحق بمركب الرمزية.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت).
2- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط3، 2001.
3- إحسان عباس، عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث، بيروت، (د.ط)، 1955.
4- أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، (د.ت).
5- إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، المجلد الأول والثاني والثالث، (د.ط)، (د.ت).
6- خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1973م، ط3، 1986م.
7- خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الأسطورة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1996م.
8- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.
9- جلال الخياط، الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، دار صادر بيروت، 1970م.
10- ريتا عوض، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978.
11- طراد الكبيسي، مقالة في الأساطير في شعر عبد الوهاب البياتي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د.ط)، 1974م.
12- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، دار نزار قباني، بيروت، ط1، 1968.
13- عبد الوهاب البياتي، ديوان عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية، مج1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، 1995م.
14- عبد الله خضر حمد، قضايا الشعر العربي الحديث، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).
15- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي والأدب، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 1978م.
16- غالي شكري، شعرنا الحديث ... إلى أين ؟، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978م.
17- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، مكتبة ومطبعة الباي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1953.
18- محمد الصالح البو عمراني، أثر الأسطورة في لغة أدونيس الشعرية (بحث في الدلالة) دار النهي، صفاقس، ط1، 2006م.
19- محمد العبد سعود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1991م.
20- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفارابي، بيروت، (د.ط)، 2005م.
21- محمد لطفي اليوسفي، في بنية الشعر العربي المعاصر، دار سران للنشر، تونس، ط1، 1985.

مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
تربية وعلوم إنسانية
Issn: 2618-1312 paper print
Issn: 2618-1320 e-copy
IF: Ref.No: 2020J101
DOI: 1018756/2020J101
code ARCI-2007-1110

العـدد الخاص بأعمال المؤتمر العلمي الدولي للانجازات البحثية الحديثة
المنعقد الكترونياً بتاريخ: 10-18/ 8 / 2020

تاريخ النشر: تشرين الثاني 2020

22- محسن اطيمش دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية سلسلة دراسات (301)، (د.ط)، 1982م.
23- محيي الدين صبحي، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، الدار العربية للكتاب الجماهيرية العربية والاشتراكية، (د.م)، (د.ط)، 1988م.
24- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
25- ميرسيا إيلياد، تر: حبيب كاسوحة، ملامح من الأسطورة، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، (د.ط)، 1995م.
26- الدوريات والمجلات:
27- خالد عمر يسير، الأسطورة ووظائفها في ديوان البياتي، مجلة دراسات في اللغة العربية، فصلية محكمة العدد 16، شتاء 1392هـ. ش، 2014م.
28- مجلة فصول، على هامش الأسطورة الاغريقية في شعر السياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الثالث، العدد الرابع، يوليو، سبتمبر، 1983م.